Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحصون المنيعة والآطام العازلة التى «أقاموها على رءُوس الجبال والقلاع ليتحصنوا بها وقت الخطر[1].

وبدأً من اليوم الأول للهجرة، تأهبهم لدورهم الخبيث فى مقاومة الإسلام.

وقبل أن نمضى مع المصطفى عليه الصلاة والسلام فى دار هجرته، نقف عند نقطة التحول لنتدبر منطقه ونلمح أبعاده، دون إيغال فيها...

* * *

لم تكن الهجرة الأولى إلى الحبشة، ضنًّا بحياة ذلك الرهط من المسلمين الأولين، وإنما كانت هجرة فى سبيل العقيدة بذلاً واحتمالاً، وسلاحًا شهروه فى وجه الوثنية الغاشمة، لتدرك مدى ما يطيق المؤمنون احتماله من التضحية والبذل فى سبيل ما آمنوا به.

وأما الهجرة التاريخية إلى يثرب، فلم تكن بذلاً واحتمالاً فحسب، بل كانت كذلك تحركًا إلى موقع خطير على حافة الحرب، فقد أذن الله فى القتال للمسلمين الذين أوذوا وظلموا وأخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربُّنا الله.

وكان الإذن بالقتال، من حيث لم تتوقع قريش أو تحتسب. وقد مضى على المبعث بضع عشرة سنة ونبى الإسلام يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، ويواجه جبروت الوثنية بكلمات من وحى ربه، كانت على المدى الطويل سلاحه الذى يشهره فى وجه الوثنية.

وقد أمنت قريش جانب المسلمين فيما تحرص عليه من تجنب الحرب فى البلد الحرام، فلم يخطر لها على بال، أن نبى الإسلام يمكن أن يخوض بالقلة العزلاء من صحابته، معركة حربية مع الوثنية المعتزة بما لها من سلطان، مع قوة باطشة من العدد والسلاح.

من هنا أنكر سمعُهم آياتِ الإذن للمسلمين فى القتال، وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون:

أو يريد محمد أن يفرض عقيدته بالسيف؟ كأنه لم يتلُ من قبل، من كلمات ربه:

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾.

﴿فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظًا، إن عليك إلا البلاغ﴾.

﴿ولو شاءَ ربُّك لآمن من فى الأرض كلهم جميعًا، أفأنت تُكره الناسَ حتى يكونوا مؤمنين﴾؟

---

(١) السيرة: ١٣٧٢، وتاريخ الطبرى: ٢٤٨٢. ووفاء الوفا للسمهودى: ٢٤٤١ - وقابل عليها ما فى (تاريخ اليهود فى جزيرة العرب) لإسرائيل ولفنسون: ١٥٧، ١١١.